

الشعر في هذا العصر

لا نظن ان التاريخ قد روى عن امة من الامم ان الشعر قد وصل فيها من الابتذال والضعف والفساد الى الدرجة التي وصل اليها الشعر العربي في البلاد الشرقية بل انه يكفي لوءف ابتذال الشعر عندنا انهم كانوا يقولون ان كل شاعر كاتب ولا يعكس فصرنا نقول الان ان كل كاتب شاعر على وجه التعميم والاطلاق وان مزية الشعر قد انتفت فلم يعد لها اثر من الاختصاص على انه لئن ساءنا ان الشعر قد وصل الى هذه المنزلة الساقطة من تعرض الجاهلين له لقد سرنا ان ابتذاله ذلك قد كان من اكبر العوامل على اجادة البعض له وتشريفهم اياه بحيث كان اولئك المبتذلون له كجارية اساس القيت كما يتفق لبيدو فوقها جمال البناء واتساقه ولذلك ظهر بيننا جماعة من الشعراء اوشكوا ان يعيدوا باجادتهم رونق الشعر القديم الصحيح ويرجموا ما غالته القرون من جماله وحسن وضعه

ولقد يدعي البعض ممن لا يرون لحاضر فضلاً ان من بدا بيننا من الشعراء المجيدين انما هم مجيدون بالقياس الى مبتذل الشعر وساقطه المنتشر الان وانهم لا يكادون يقاسون بغيرهم من القدماء حتى يبدو نقصهم ويتبين عجزهم . ولكن الذين يدعون ذلك انما تصدق دعواهم حين يريدون نسبة بعض المجيدين من شعرائنا الى نفر من خول الشعراء السابقين الذين كان الشعر صناعتهم الدائمة وشغلهم الملازم للحياة والذين تناهبوا اكثر معاني الشعر الجيدة وابتدعوا الطف طرائقه واساليهه بحيث انه اذا اجاد احد بعدهم فانما يكون سائراً على سبيلهم مقلداً لطريقتهم وليس في ذلك على حسب اعتقادهم

كبير فضل ولا دلالة سبق . ونعم ان ما يقولونه لصادق من بعض الوجوه ولكن اذا قصر المجيد من شعرائنا عن ان يكون كاحد شعرائنا الثلاثة السابقين او اذ كانت قد بلغت منزلته من القول ان يقاس بهم ويقابل بين ما قاله وقالوه فان ذلك لا يعد لدى الحقيقة تقصيراً بل انه يعد فضلاً كبيراً ولا سيما بعد الفترة بينهم وبيننا وامتناع وسائلهم عنا . الا ان المجيدين منا حين يقاسون بالمجيد من شعراء القرون التي توسطت بيننا وبين اولئك المبتدعين البارعين فانهم قد يظهرون مثلهم بل ان فيهم من يكون اشعر منهم . وما نظن ان مثل ابن النيه وابن معنوق وابن مطروح واشباههم ممن دون التاريخ اشعارهم بافضل من بعض شعرائنا المجيدين الحاضرين الذين كثيراً ما تنشر مجلتنا اقوالهم ونطالعها في سواها من سائر الجلات فضلاً عن انهم قد تعلقوا من المعاني الجديدة والاغراض المصرية على ما لم يكن يعرفه اولئك فنزلوا بذلك في منزلة المخترعين المبتدعين وقد يظهر بعدهم من يتم محاسن ما بدأوا به فينتقل الشعر بيننا من حاله القاصرة على المديح والثناء الى حالة جديدة يستجد بها حسن الشعر ولطفه . ثم ان ابتذال الشعر عندنا وان يكن قد زاد عما يحتمل فانه لم يكن بدعة جديدة ولا ظهر عن غباوة اقتضتها حال اللغة العربية في هذا العصر بل ان ابتذال الشعر قد كان ولا شك في كل زمان وقد فشا بين كل قوم وحسبك ان العرب على كون الشعر حليتهم الوحيدة وفنهم الجليل المنتشر بين كل حلقاتهم انهم لم يكونوا يخلون من جماهير من الشعراء الساقطين المقصرين عن حقيقة وقياس . ولهذا لم يبد منهم الا جماعة معدودون يعدون قليلاً جداً حين الاضافة الى مبلغ الشعر في ذلك العهد وعدد الشعراء الذين كانوا فيه وهو ما يدلك على ان الرديء لا بد منه لوجود الطيب الجيد وان

ما يتبدل عندنا من الشعر ويسقط انما هو عامل كبير لوضوح ما يستجد منه ويحفظ . وعندنا انه لو كان ادباؤنا وبالتالي اصحاب جرائدنا ومجلاتنا ينوون بحسنات كل شاعر ويذكرون تقصير كل مدع مغرور لشرفوا اقدار الشعر كثيراً واعانوا المجيدين منا على الاجادة وكانوا من اكبر الاسباب على تقل الشعر من حالة فوضاه الحاضرة الى حالة منظمة محدودة الجوانب

ولقد ساقنا الى هذا الحديث ديوان أهدي اليانا من حضرة الشاعر المجيد محمد افندي حافظ ابراهيم اخذ الشعراء البارعين الذين اشرنا اليهم في هذا المقال ولذلك افردنا له هذا الفصل تنويهاً به وايفاء لحقه من المديح ونحن نقل هنا شيئاً من شعره يكون كنزكية للشهادة عليه

فما نظمه وهو في السودان قوله

أثرت بنا من الشوق القديم وذكرى ذلك العيش الرخيم
وايام كسوناها جالاً وارقصنا لها فلك النعيم
ملأناها بنا حسناً فكانت بجيد الدهر كالمقد النظيم
وفتيان مساميح عليهم جلايبب من الذوق السليم
لهم شيم الذئ من الاماني واطرب من معاطاة النديم
دعوتهم الى انس فوافوا موافاة الكرم الى الكريم
وجاءوا كالقطا وردت نغيراً على ظلي وهبوا كالنسيم
ومما يستمذّب من شعره قوله يصف الخمر مقدياً باشباه ابي نواس

أوشك الذئك ان يصبح ونفسي بين هم وبين ظن وحس
يا غلام المدم والكاس والظا س وهى لنا مكاً كاس
واطلق الشمس من غياهب هذا الد ن واملاً من ذلك النور كاسي

واسقنا يا غلام حتى ترانا لا نطق الكلام الا بهمس
خمرة قيل انهم عصروها من خدود الملاح في يوم عرس
ومما يدل على جودة اسلوبه ونسقه الشعري قوله من قصيدة بهت بها
الى حضرة صديقه الشاعر المجيد محمد بك هلال الذي تولى شرح ديوانه هذا

هجمت يا طير ولم اهجم ما انت الا عاشق مدع
لو كنت ممن يرفون الجوى قضيت هذا الليل سهداً معي
لله ما اقصى فؤاد الدجى على فؤاد العاشق المولع
وانغيد اسكتته في الحشا وقلت يا نفس به فاقنعي
نفاره اسرع من خاطري وصده اقرب من مدمعي

وفي الديوان حسنات كثيرة من مثل هذه وهو آخذ فيها بكل طرف متعلق بها على كل غرض بحيث كان شاعراً تاماً يجيد في كل معنى . ولو كان المقام يتسع لاكثر مما ذكرنا لزدنا في الدلالة والشهادة واوضحنا الذي قلناه من ان بعض شعرائنا الحاضرين يفوقون في اكثر الحالات بعض شعرائنا المجيدين المتوسطين بين هذا العهد والعهد الاول

على ان الذي نقلناه من ديوانه قد نقلناه حين المرور عليه كما يجي دون انتخاب له ولكنه مع الذي اغلنا نقله ان لم يكن كله كثير المعاني مبتدعاً فانه حسن الديباجة بحكم الوشي والسرد واكثره يجري على نمط الحذاق الماضين الذين لا يمد تقليد طريقتهم والجري معهم بالامر الهين اليسير ذلك عدا تحاشي سقطاتهم وتجنب عيوبهم وهو فضل آخر لم يتحل به الا قليلون من اهل هذه الصناعة